رابط المادة على منصة باحث

سلسلة رحلة اليقين - القناة الرسمية د. إياد قنيبي

رحلة اليقين ٥)جزء ٢ من ٢(: كيف يلغي الإلحاد العقل والعلم؟

إياد قنيبي

]هل الإلحاد يحترم العقل أم يُسقطه؟[- 00:00:01

لذا نقولُ للمُلحدِ: - 00:00:03

إن كانت الضّروراتُ العقليّةُ لا وجودَ لها، فكيف تُفسّرُ اقتناعَ الناس كُلّهم بها؟! - 00:00:05

بما يَدلُ أنّها مُكوّنٌ عقليٌ راسخٌ لديهم، - 00:00:12

بلْ وعملَكَ أنتَ والنّاس في الواقع بها - 00:00:15

يُجيبُكَ المَنظُورُ الإلحاديُ فيقولُ: - 00:00:18

بما أنّ الإنسانَ جاء بالتّطوّرِ الدّاروينيّ - 00:00:20

والمحرّكُ في هذا التطوّرِ هو الانتِخابُ الطبيعيُ - 00:00:23

والطّفَراتُ العشوائيّةُ الّتي تُحقّقُ للكائنِ العيشَ والبقاءَ، - 00:00:26

فما الّذي يضمنُ أنّ هذه الطّفَراتِ طَوّرتْ لنا عُقولًا - 00:00:29

قادرةً على الوصولِ إلى حقائقِ الأشياءِ؟ - 00:00:34

بلْ هذهِ العُقولُ يُمكنُ أن تُضلّلَنا، - 00:00:37

وتجعلَ بعضَ الأمورِ مُسَلّماتٍ عقليّةً بالنّسبةِ لنا معَ أنّها مجرّدُ وَهْمٍ في الحقيقةِ - 00:00:39

وإنّما تَخدَعُنا عُقولُنا لتُحقّقَ لنا البقاءَ! - 00:00:45

إذن، فالإلحادُ يَصِلُ بصاحبِهِ إلى أبعدَ مِنْ إنكارِ المُسلّماتِ العَقليّةِ - 00:00:50

يَصِلُ بِهِ إلى التّشكيكِ في مِصْداقيّةِ العقلِ البشريّ نفسِهِ - 00:00:54

نقولُ للمُلحدِ: إلحادُكَ إذَنْ يُقِرُ بأنّ عقلَكَ يمكنُ أن يُضلّلَكَ - 00:00:59

وأن لا يَكتشِفَ الحقيقةَ، فكيفَ تَثِقُ بعَقلِكَ إذَنْ؟! - 00:01:05

أنتَ في إلحادِكَ كلّهِ تقولُ إنّك تَستندُ إلى العقلِ - 00:01:08

وإلحادُكَ نفسُهُ يطعنُ في مِصداقيّةِ العقلِ - 00:01:12

ومعَ ذلكَ كأنّكَ تقولُ: أنا أصدّقُ عَقْلي لأنّ عَقْليَ -المطعونَ في مِصداقيّتِهِ- يخبرُني أن أُصدّقَهُ! - 00:01:15

هذهِ الإشكاليّةُ العميقةُ حولَ مِصداقيّةِ العقلِ - 00:01:23

كانتْ حاضرةً حتّى عندَ داروين "niwraD" نفسِهِ - 00:01:25

والّذي عبّرَ عنْ حيرتِهِ وانزعاجِهِ مِنْ هذهِ القضيّةِ - 00:01:28

حيثُ قال: "يَنْتابُني دائمًا شكٌ فظيعٌ حولَ ما إذا كانتْ قناعاتُ عقلِ الإنسانِ - 00:01:31

-والّذي بِدَوْرِهِ تَطوّرَ مِنْ عقولِ كائناتٍ أدنى- - 00:01:37

تتمتّعُ بأيّةِ قيمةٍ، أو تستحقُ أدنى ثقةٍ" - 00:01:40

لذا فمِنَ الغريبِ جدًا أن يَزعُمَ المُلحدون احتِرامَ العقلِ، ويَتّهِموا المُتَدَيّنينَ بامتهانِ العقلِ - 00:01:43

بينما حقيقةُ الأمرِ أنّ الإلحادَ يقودُ -في النهايةِ- إلى هدمِ مَوثُوقيّةِ العقلِ نفسِهِ! - 00:01:49

المُلْحدُ يَعِيبُ علينا إيمانَنَا بالنّبيّ -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- - 00:01:55
-والّذي عُرِفَ بالصّدقِ- معَ أنّنا لم نَبْنِ إيمانَنَا على قولِهِ عن نفسِهِ أنّهُ رسولُ الله فحسْب؛ - 00:01:58
بل ببراهينَ خارجيّةٍ على صِدْقِهِ ونُبوّتِهِ - 00:02:04
وفي الوقتِ نفسِهِ يُصدِّقُ المُلْحدُ عَقلَهُ المَشكُوكَ في مِصداقيّتِهِ وقدرتِهِ على الدّلالةِ على الحقيقةِ - 00:02:08
لمُجرّدِ أنّ عقلَهُ قالَ له: صدِّقني! - 00:02:14
]لا أحد يملك الحقيقة المطلقة[- 00:02:19
كيفَ خرجَ الإلحادُ مِن هذا المَأزقِ؟ - 00:02:22
مَأزقِ الاعتمادِ على عَقلٍ يُمكِنُ أن يُضَلِّلَ عن حقائقِ الأشياءِ؟ - 00:02:23
أجابَكَ الإلحادُ فقالَ: ومَن قالَ أنّ للأشياءِ حقائقَ مُطْلقةً أصلًا، حتّى تُضَلِّلَنَا عقولُنَا عنها؟! - 00:02:28
كيفَ إذن؟ - 00:02:35
قالُوا: بل ليسَ هناكَ شيءٌ اسمُهُ حقائقُ الأشياءِ - 00:02:37
وإنّما هي قراءةُ حَواسِّ الإنسانِ لها - 00:02:40
كأنّ الشّيءَ بلا لَوْنٍ ولا مانعَ مِن أن يَرَاهُ كلُّ إنسانٍ بلَوْنِهِ الخاصِّ - 00:02:42
ولا سبيلَ لأحدٍ أن يُخطِّئَ الآخرَ؛ - 00:02:46
لأنّه لا يَستطِيعُ أحَدٌ أن يدّعِيَ أنّ الآخرَ خالفَ)الحقيقةَ(، - 00:02:49
لأنّ كلّ ما يُسمّى)حقيقةً(إنّما هو مُنتَجٌ عَقليٌّ بشريٌّ لا قِيمةَ مُطْلَقةً لهُ مُستقِلّةً عن أشخاصِنَا - 00:02:53
وحتّى نَفهَمَ الفَرْقَ بَيْنَ كَوْنِ الحقيقةِ مُطْلَقةً ونِسْبِيّةً... - 00:03:01
مُطْلَقةٌ: يعني ليستْ نِسْبِيّةً؛ أيْ هي كذلِكَ في نفسِهَا - 00:03:05
فلا نَحتَاجُ أن نقولَ بعدَهَا: هي كذلِكَ بالنّسبةِ لفلانٍ - 00:03:09
مثلًا: عندما نَرسمُ خَطًّا كهذا الخَطِّ]يظهر الخَطّ على الشّاشة[- 00:03:13
فيأتي مَن يقولُ: هما خَطّانِ - 00:03:16
فإنّا نقولُ لهُ: أنتَ مُخطِئٌ لأنّكَ خالفتَ حقيقةً مُطْلَقةً، وهي أنّه خَطٌّ واحدٌ - 00:03:19
بينما عندما نقولُ: هل هذا الخَطُّ مفهومٌ؟]كتابةٌ باللُّغةِ اليابانيّةِ[- 00:03:25
فالجوابُ: أنّ كَوْنَهُ مَفهُومًا أو غيرَ مَفهُومٍ ليسَ مُطْلَقًا؛ - 00:03:29
فهو مَفهُومٌ بالنّسبةِ لليابانيّ وليسَ مفهومًا لغيرِهِ - 00:03:32
التّسلسلُ الّذي أدّى إليه إنكارُ وُجُودِ اللهِ انتهى باعتبارِ كلّ شيءٍ نِسْبِيًّا، - 00:03:37
وهو الّذي أوجَدَ البيئةَ المناسبةَ لمَقُولاتٍ مثل: أنّ الحقيقةَ لا يمتلكُهَا أحدٌ، - 00:03:42
وأنّه ليسَ هناكَ حقيقةٌ مُطْلَقةٌ، - 00:03:46
وأنّ الحقيقةَ نِسْبِيّةٌ... - 00:03:49
هي نِسْبِيّةٌ عندهُم لأنّ القَوْلَ بإطلاقِ الحقيقةِ، - 00:03:51
وبأنّ للأشياءِ حقيقةً، يستلزمُ التّسليمَ بوُجودِ سُنَنٍ هناك مَن سَنّها، - 00:03:54
وضروراتٍ عقليّةٍ هناكَ من فَطَرَ الإنسانَ على ما يُشبهُ البرمجةَ الّتي تقبلُهَا، - 00:04:00
وهم لا يُريدونَ أن يُسلِّموا بهذا كُلِّهِ - 00:04:06
ومعَ ذلكَ يُردِّدُ بعضُ أبناءِ المسلمينَ عبارةَ:)نِسْبِيّةِ الحقيقةِ(على سبيلِ الانفتاحِ والعقلانيّةِ، - 00:04:08
وهم لا يعلمونَ بأساسِها وتَبِعاتِها - 00:04:15

ونقولُ لمن يُردِّدُ هذهِ العبارةَ: - 00:04:20
)لا أحدَ يمتلكُ الحقيقةَ المُطْلَقةَ(- 00:04:21
هل عبارتُكَ هذهِ حقيقةٌ؟ إنْ قالَ: نعمْ، - 00:04:24
إذن، فقد أقررْتَ بوجودِ حقائقَ مُطْلَقةٍ، - 00:04:26
وإنْ قالَ: لا، أنا أراها حقيقةً بالنسبةِ لي، - 00:04:29
فنقولُ لهُ: وأنا لا أراها كذلكَ، - 00:04:32
فلماذا تُنكِرُ على منْ يُخالِفُكَ ويتمسّكُ بالحقائقِ المُطْلَقةِ وتَعتبِرُ ذلكَ جُمُودًا إذن؟! - 00:04:35
هذه الميوعةُ -إخواني- وهذهِ العَدَميّةُ والعبثيّةُ - 00:04:41
أوجدَتْ كذلكَ البيئةَ المناسبةَ لفكرةِ)النّصّ المفتوح(- 00:04:44
أي: التعاملُ معَ نصوصِ الوَحْيِ كنَصّ ليسَ لهُ حقيقةٌ واحدةٌ - 00:04:48
يَجِبُ على المُسْلِمِ السّعيُ في إدراكِهَا والعملِ بهَا، - 00:04:52
بل الفَهمُ نِسْبِيٌّ وليسَ لأحدٍ أن يُخطِّئَ الآخرَ - 00:04:56
]هل الأشياء دليلٌ على الله أم أنّ اللهَ هو الدليل على كلّ شيءٍ؟[- 00:05:01
بهذا -إخواني- تظهرُ تَبِعاتُ الإلحادِ - 00:05:04
حينَ أنكَرَ كُلًّا من العِباراتِ المفتاحيّةِ التِّسعةِ في المقدِّمةِ الإيمانيّةِ - 00:05:07
القائلةِ: خَلَقَ اللهُ السّماواتِ والأرضَ بالحقّ، - 00:05:11
ووَضَعَ لهُ بحكمتِهِ سُنَنًا ثابتةً، - 00:05:16
وفَطَرَ الإنسانَ على فِطْرةٍ تُنتِجُ له مُسَلّماتٍ عقليّةً بديهيّةً ضروريّةً، - 00:05:19
يَنطلِقُ منها عقلُ الإنسانِ لاكتشافِ حقائقِ الأشياءِ - 00:05:24
فلَدَى المُلحِدِ: لا اللهَ، فلا خَلْقَ، ولا حكمةَ، - 00:05:29
ولا سُنَنَ ثابتةً، ولا فِطْرةَ، ولا مُسَلّماتٍ عقليّةً - 00:05:34
ولا عقلًا إنسانيًّا موثوقًا، - 00:05:39
ولا حقًّا، ولا حقائقَ مُطْلَقةً، - 00:05:41
ولا نتائجَ علميّةً موثوقةً يمكنُ تَعميمُها واستنتاجُ قَوَاعدَ منها، - 00:05:44
ولا لُغَةَ تَخاطُبٍ عقليٍّ مُشتركةً، - 00:05:49
ويَنفَرِط عِقْدُ كلِّ شيءٍ - 00:05:52
﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾]القرآن 81: 82[- 00:05:54
وهذه كُلُّها نتائجُ الالتزامِ بإنكارِ اللهِ تعالى - 00:06:00
والّذينَ تَوقّفُوا عندَ دَرَكاتِ هذا الهبوطِ - 00:06:04
فإنّما همْ تَعَامَوْا عنْ لوازمِ وتبعاتِ إلحادِهِم، وتناقضُوا معَ مُعتَقداتِهِم - 00:06:07
ممّا سبقَ -إخواني- يَتبيّنُ أنّهُ لا تقومُ حقيقةٌ بغيرِ الإيمانِ بوجودِ اللهِ تعالى، - 00:06:13
الّذي لهُ الكمالُ المُطْلَقُ، - 00:06:19
والّذي أوْجدَ في الإنسانِ حقائقَ مُطْلَقةً، لا يَتوَصّلُ إليها بنفسِهِ - 00:06:20
ومنْ هنا نَفهَمُ العبارةَ العميقةَ لأهْلِ العِلْمِ:)العِلْمُ باللهِ أصلٌ للعلمِ بكلِّ مَعلومٍ(- 00:06:24
فمن لم يُدركْ وُجُودَ اللهِ تعالى؛ - 00:06:32

فلن يَتمكّنَ بُرهانيًا أن يؤسّسَ لنظريّةٍ معرفيّةٍ متماسكةٍ، - 00:06:33
وهذا معنى كلامِ ابنِ القيّمِ الّذي مُختصَرُهُ: فإنكارُ صانعِ الكَوْنِ وجَحْدُهُ في العقولِ والفِطَرِ، - 00:06:38
بمنزلةِ إنكارِ العِلْمِ وجَحْدِهِ لا فرْقَ بينهما، - 00:06:44
بل دلالةُ الخالقِ على المخلوقِ - 00:06:48
عندَ العقولِ الزّكيّةِ المُشرقةِ والفِطَرِ الصّحيحةِ أظْهرُ منَ العكسِ؛ - 00:06:50
يقصدُ أنّ الاستدلالَ بالخالقِ على الخَلْقِ، - 00:06:54
أوضَحُ من الاستدلالِ بالخَلْقِ على الخالقِ - 00:06:58
ثمّ قالَ ابنُ القيّمِ: "وسَمعتُ شيخَ الإسلامِ -تقيّ الدّينِ ابنِ تيميةَ- يقولُ: - 00:07:01
كيفَ تَطلُبُ الدّليلَ على مَن هو دليلٌ على كلّ شيءٍ؟ - 00:07:06
وكانَ كثيرًا ما يَتمَثّلُ بهذا البيتِ: - 00:07:10
وليسَ يَصِحُّ في الأذهانِ شيءٌ إذا احتاجَ النّهارُ إلى دليلِ" - 00:07:12
وتُساعِدُنا حلقةُ اليومِ أيضًا في الجوابِ عن تساؤلِ الحلقةِ الماضيةِ - 00:07:17
أثبتْنَا أنّ الإنسانَ لديهِ إقرارٌ فِطْريٌّ بالخالقِ، - 00:07:21
لكنْ هلْ هذا الإقرارُ يعني بالضّرورةِ وُجُودَ الخالقِ؟ - 00:07:24
فقد بيّنّا -في حلقةِ اليومِ- تَبِعاتِ إنكارِ الضّروراتِ الفِطْريّةِ - 00:07:27
الّتي يَجدُها الإنسانُ من نفسِهِ ضرورةً - 00:07:30
وبهِ أيضًا تُدركُ لماذا كانَت القيمةُ المُطْلَقةُ العُليَا في الإسلامِ هي الحقُّ - 00:07:34
الّذي بغيرِهِ لا تقومُ السّماواتُ ولا الأرضُ، - 00:07:39
وبهِ أيضًا تُدركُ بعمقٍ معنى قولِهِ تعالى: - 00:07:43
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾]القرآن 40 :96[- 00:07:46
كأنّ اللهَ -عزّ وجلّ- يقولُ: - 00:07:51
ألمْ ترَ إلى الّذينَ يُكَابِرونَ في آياتِ اللهِ الكونيّةِ والشّرعيّةِ - 00:07:52
إلى أيّ مصيرٍ ينتهونَ؟ - 00:07:56
وفي أيّ وديانِ الحيرةِ والضّلالِ يَتيهونَ؟ - 00:07:57
كانتْ هذهِ مناقشةً لدلالةِ البَرْمَجَةِ الفِطْريّةِ للمُسَلّماتِ العقليّةِ على وجودِ اللهِ تعالَى - 00:08:01
وفي الحلقاتِ القادمةِ سنُنَاقِشُ دلالاتٍ فِطْريّةٍ أخرى -بإذنِ اللهِ تعالى- - 00:08:07
والسّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ - 00:08:12